# زنادقة الأدب والفكر

## قراءة في تاريخ الزندقة قديماً وحديثاً

بقلم: د. هاني السباعي

### تقدمة:

لغتنا الجميلة وأثرها في حماية العقيدة.. تحت ظل هذه العبارة كنت أتحاور مع أخ مكرم عن تلك العروس التي هجرها خطابها رغم حسنها وجلالها، وحلاوة منطقها، وعذوبة حديثها، وفصاحة لسانها، رغم أنها سليلة الحسب والنسب، كريمة القبيلة والعشيرة.. رغم كل هذا البيان لذات السحر الحلال.. هجرها خطابها!! وبينما كنا نهيم بتلك العروس، ونتجاذب أطراف الحديث، ونتناسل الأفكار عن عروسنا المصون، تلك التي صانت حمى العقيدة عبر العصور، وتصدت لهجمات الزنادقة والملحدين، فكم من قلم جبار كسرته، وكم من لسان حاد أخرصته، وكم.. وكم!! وفي فوران الشجون ذكرني صديقي أن عروسنا المصون منذ بضع سنين قد فقدت عاشقاً لطالما تغنى بها ونذر حياته للذب عن حسنها وكريم معدنها.. فقدت العروس عالم اللغة والبيان الدكتور مصطفى هدارة.. ذلك العالم الناقد البصير الذي صان عرض اللغة العربية وتصدى لأقلام الزنادقة والملاحدة وأهل الانحراف.. رحل عن عالمنا في صمت ولم يعلم بوفاته إلا قلة من غرباء هذا الزمان!! مر عامان على ذكراه ورحل عن دنيانا بعدما أثرى المكتبة العربية والإسلامية بكتاباته وأبحاثه ومقالاته.. رحل صاحب (اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري).. فاسترجعت وصديقي رغم أننا لم نستفق بعد حسرتنا لفراق فارس البيان وشيخ العربية في هذا العصر علامة الأدب الشيخ محمود شاكر.. ومرت الذكرى.. والعروس تبكي فوارسها.. هكذا رحل فارسان من فوارس اللغة والبيان.. ومنذ شهرين .. تحديداً في 15 شوال 1423هـ رحل عالم دمشق المحقق اللغوي الفقيه الشافعي الشيخ العلامة عبد الغني علي الدقر مؤس جمعية الغراء بسوريا وصاحب عدة كتب في اللغة والنحو والفقه منها معجم القواعد العربية في النحو وتحقيق وترتيب شرح شذور الذهب وله مختصر تفسير الخازن ومؤلفات أخرى ـ رحمه الله ـ وقد رحل ولم تهتم بموته وسائل الإعلام.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.. فالمحن تترى وتتكاثر؛ محنة ودعت وأخرى أغارت!! فمن للزنادقة.. وفوارس البيان قد غابوا؟!! ورغم سريان سموم الزندقة في حياتنا الإعلامية فلن يضر جسد لغتنا العربية المحفوظة بحفظ الله لها تلكم السموم.. ورغم غياب الفوارس الذين كانوا يذبون عن لغتنا العربيةإلا أن رحم الأمة ولود والحمد لله.

### فضل علماء اللغة في كشف زيغ الزنادقة :

وقد يعجب القارئ لحديثنا عن فضل علماء اللغة في حماية العقيدة!!

وقد يسأل سائل: وأين موقع علماء الأصول والحديث والفقه في حماية العقيدة؟!! نحن لا ننكر فضل هؤلاء جميعاً في حماية العقيدة الإسلامية. فكل هؤلاء يقفون في جبهة الإسلام العريضة التي تسع الجميع.. فالإمام

أحمد بن حنبل المتوفى 241هـ له كتاب ماتع في الـرد على الزنادقة وخاصة في مجال الشبهات التي كـانوا يثيرونها حـول تعـارض آي القـرآن.. والكتـاب مطبـوع بـالعنوان التـالي: (الـرد على الزنادقة والجهميـة) المطبعة السـلفية بالقاهرة محقق في جزء واحد. لكن السبق لأهل اللغة في كشف الشعوبية والزندقة أمر لا ينكره علماء الأصول والحديث والفقـه.. فـرواد اللغة الأوائل لهم الفضل في كشف لحن القـــول ودحض شـــبه المبطلين.. لم لا؟!! مع التنبيه أن علمـاء اللغة والأدب قـديماً كـانوا أهل حـديث وفقه وتـاريخ لكن شهرتهم جاءت من خلال تخصصـهم في كتب الأدب واللغـة.. وقد حمل لـواء هذه المعركة إمامان من أئمة اللغة والبيان.

أما الأول: الجاحظ المعتزلي (ت 255هـ).
وأما الثاني: هو خطيب أهل السنة ابن قتيبة (276هـ).

## أولاً: الجاحظ المعتزلي :

هو أبوعثمـان عمـرو بن بحر ولد في البصـرة وقضى فيها أكـثر عمـره ولكنه في 204هــ رحل إلى بغـداد ثم علا نجمه لما اتصل بـوزير الخليفة المعتصم محمد بن عبد الملك الزيـات فأصـبح من الموسـرين وذاع صـيته في العـالم الإسـلامي .. ومن أشـهر كتبـه: نظم القـرآن ،البيـان والتبـيين، والحيـوان، وفضـيلة المعتزلـة، والـرد على اليهـود، الـرد على النصـارى، البخلاء، كتـاب اللصوص وغيرها ذلك من كتب ورسائل.. ثم رجع إلى البصرة وهناك أصــيب بشلل في جسده ومات في المحرم سنة 255هـ وعمـره نحو ست وتسـعين سـنة. وقـد: "تصـدى الجاحظ وابن قتيبة لهـذه النزعة الآثمة وردّا عليها رداً عنيفاً، أما الجاحظ فعقد في كتابه "البيان والتبيين" باباً طويلاً سماه "كتــاب العصـا" صــوّر فيه طعن الشــعوبية على العــرب في خطابــاتهم، إذ كــانوا يشيرون فيها بالعصي والمخاصر، كما كانوا يتكئون على القسي، مما يصرف في رأي الشـعوبيين الخـاطر ويشـغل الـذهن أثنـاء الخطابـة.. وزعمــوا أن الفـرس أخطب من العــرب .. وكل ذلك نــازعهم الجاحظ في عنف شـديد، ولكي يبلغ كل ما كان يريد إفحامهم ومقاومتهم جعل كتابه (البيـان والتبـيين) رداً مفحمــاً عليهم، إذ خصصه لعــرض الثقافة العربية الخالصة في صــورها المختلفة من الخطابة والشـعر والأمثـال، كي يـروا رؤية العين ما في هـذه الثقافة من قيم بلاغية وجمالية، فينتهوا عن مزاعمهم ويثوبوا إلى رشدهم" .

## ثانياً: ابن قتيبة السني :

هو أبو محمد عبد الله بن مسـلم بن قتيبـة، ولد بالكوفة سـنة 213هــ ونشأ في بغـداد وكــان عالمــاً بالفقه والتفسـير والحـديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ؛ ومن شيوخه اسحاق بن راهوية وأبو حـاتم السجسـتاني وغيرهمـا. وقد تولى القضاء في مدينة دينور لذلك سمي بالـدينوري.. وقد كـان خطيب أهل السنة شديداً على المعتزلة وهـاجم النظـام والعلاف واتهم الجاحظ بأنه يؤلف الكتب للتسلية وليس لرفع شأن الدين، وله كتب عديدة منهـا: عيـون الأخبار، وأدب الكاتب، وكتاب مشكل القـرآن، تأويل مختلف الحـديث، كتـاب المعارف، والشعر والشعراء وغيرها.. وكانت وفاته في بغـداد في أول رجب سـنة 276هــ. وقد ألف ابن قتيبة في الـرد على الشـعوبيين مبحثـاً سـماه "كتـاب العـرب أو الـرد على الشـعوبية" وهو في مطالعه يـذكر أن من أشد الشعوبيين عداوة للعرب قوماً من كتاب الدواوين امتعضوا لآداب أقـوامهم.. ويقول إنهم كانوا يُزرون على الحكم والأمثال العربية بما يروون عن الفرس واليونان من آداب وعلوم. ولم يكتف بعنفه عليهم في هذا المبحث الطريف، فقد عنف بهم في مقدمة كتابه (أدب الكاتب) مصوراً قصورهم عن النهوض بـوظيفتهم الأدبية في الـدواوين لنقد ثقـافتهم العربيــة. وقد حـاول محاولة

طريفة في كتابه "عيون الأخيار" أن يجمع بين تلك الثقافة والثقافات الأجنبية ليبين أنها كلها ضرورية ولاتعارض بينها بوجه من الوجوه مما قضى على الشعوبية قضاءً مبرماً" أقول: هكذا فطن أهل اللغة لخطورة دعوى الشعوبية التي كانت تحتقر العرب وتفضل الفرس وتمجد لغتها على لغة العرب ولم تقتصر هذه الشعوبية على الفرس فقط بل امتدت إلى سائر الأمم التي أذعنت للعرب كالزنج، والزط من أهل السند، وكالنبط والقبط والبربر وغيرهم. معنى ذلك أن النتيجة المنطقية لهذه الدعوى الشعوبية هو احتقارهم لنبي العرب صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه قرآناً عربياً.. ومن ثم كانت الشعوبية الوجه الآخر للزندقة فهما بحق وجهان لعملة واحدة.. ومن منطلق هذه التقدمة سأقصر حديثي حول النقاط التالية:

أولاً: معنى الزندقة لغة.
ثانياً: متى وكيف ظهرت الزندقة في التاريخ الإسلامي.
ثالثاً: الزنادقة الأوائل. مع مختارات من كتاباتهم وأشعارهم.
رابعاً: الزنادقة الجدد مع مختارات من كتاباتهم .
خامساً: صفوة القول.

## أولاً: معنى الزندقة لغة :

اختلف الباحثون في أصل هذه الكلمة "زندقة" لكن أقرب الأقوال إلى هذه الكلمة: "فارسي معرب عن زنديك فإنّ الكلمة كانت تطلق بمعناها الأصلي على المؤمن المخلص من أتباع ماني. ولما كان الزادشتية يعدون المانوية ملحدين خارجين على الزرادشتية، فقد أطلقت عندهم على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق.

وفي ذلك يقول "براون" شارحاً له ومدللاً عليه: "كلمة زنديق صفة فارسية معناها متتبع الزند أي الشروح القديمة للأفستا وهو كتاب زرادشت المفضل له على النص المقدس. وقد سمي المانوية زنادقة لميلهم إلى تأويل الكتب المقدسة للديانات الأخرى وشرحها حسب آرائهم وأهوائهم" أقول: والذي يرجح أن أصلها فارسي معرب ما جاء في لسان العربي لابن منظور: الزِّنْدِيقُ القائل ببقاء الدهر , فارسي معرب, وهو بالفارسية : زَنْدِ كِرَايْ , يقول بدوام بقاء الدهر. والزَّنْدَقةُ الضِّيقُ , وقيل : الزِّنْدِيقُ منه لأنه ضيّق على نفسه. التهذيب : الزِّنْدِيقُ معروف, و زَنْدَقَتُه أنه لا يؤمن بالآخرة ووَحْدانيّة الخالق . وقال أحمد بن يحيى : ليس زِنْدِيق ولا فَرْزِين من كلام العرب , ثم قال; ولكن البَياذِقةُ هم الرَّجّالة , قال : وليس في كلام العرب زِنْدِيق , وإنما تقول العرب رجل زَنْدَق و زَنْدَقِيّ إذا كان شديد البخل, فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا : مُلحِد ودَهْرِيّ , فإذا أرادوا معنى السِّنِّ قالوا : دُهْرِيّ , قال : وقال سيبويه الهاء في زَنادِقة وفَرازِنة عوض من الياء في زِنْدِيق وفَرْزِين , وأصله الزَّنادِيق الجوهري : الزِّنْدِيقُ من الثَّنَوِيَّة وهو معرب , والجمع الزَّنادِقة وقد تَزَنْدَقَ والاسم الزَّنْدَقَة" وفي مختار الصحاح: "الزنديق م الثنوية وهو فارسي معرب وجمعه زنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة." وجاء أيضاً في محيط المحيط: " زندق - تزندق الرجلَ صار زنديقًا أو تخلق بأخلاق الزِّنديق. وقولهم من تمنطق تزندق أي من تعلَّم علم المنطق تهوَّر في الزَّندقة لأنهُ يتورَّط في الأقيسة والنتائج بما يُفسد العقائد الدينيَّة التي مدارها على التسليم .. رجلٌ زَنْدَقٌ وزَنْدَقيٌّ أي شديد البخل الزَّندقة الاسم تزندق. يقال عندهُ زندقة .. الزَّنْدُوق لغةٌ في الصندوق الزِّنْدِيق من الثنويَّة أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبيَّة أو من يُبطِن الكفر ويُظهر الإيمان. ومنهُ قول الشاعر: بغداد دارٌ لأهل المال طيّبةٌ وللمفاليس دار الضنك والضيق ظللتُ حيران أمشي في أزقَّتها كأنني مُصحفٌ في بيت زنديق معرَّب زَن دِين أي دِين المرأة ج زنادِيق زنادِقة. والتاء عوض الياء المحذوفة. والزِّنادقة في بعض

ترجمات العهد الجديد هي تحريف الصدوقيّين نسبةً إلى صدوق الذي أنكر الروح والبعث وغير ذلك. والزّنديق عند العامّة من لا يراعي حرمةً ولا يحفظ مودّةً " وقد ورد هذا المعنى في قاموس "لاروس": "الزندقة: ابطان الكفر وإظهار الإيمان: مذهب القائلين بدوام الدهر من أصحاب زرادشت" أقول: لكن هذا المعنى تطور ولم يقتصر على أصحاب ماني لذلك يرى بعض المؤرخين أن للزندقة عدة معان تختلف باختلاف العصور.. "فقد كان العرب يطلقون لفظ (زنديق) على من ينفي وجود الله سبحانه، أو يقول إن له شريكاً. وقيل: إن الزنديق مَنْ يبطن الكفر ويظهر الإيمان.. وكان لفظ زنديق يطلق أول الأمر على كل من يتأثر بالفرس في عادتهم ويسرف في العبث والمجون، ثم صار يطلق بعد ذلك على كل من يتخذ عقائد المانوية شعاراً له، ويتمسك بعقيدة الثنوية، وعبادة إلهين اثنين، واتباع تعاليم ماني. ثم توسعوا في العصر العباسي في إطلاق لفظ الزندقة، فأصبح يطلق على من ينكر الألوهية، أو يتظاهر بالظرف" ويرى د.عبد الرحمن بدوي أن: "زنديق" لفظ غامض مشترك قد أطلق على معان عدة، مختلفة فيما بينها على الرغم مما قد يجمع بينها من تشابه، فكان يطلق على من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم: هما النور والظلمة. ثم اتسع المعنى من بعد اتساعاً كبيراً حتى أطلق على من يكون مذهبه مخالفاً لمذهب أهل السنة أو حتى من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب ومن إليهم" الزندقة إذن: "حركة دينية سياسية، ابتغى أصحابها بعث الديانات الثنوية الفارسية، وكان أكثرهم يعتنقون المانوية خاصة، وكان أهل الإباحة منهم يتأثرون المزكية أيضاً. وقد دبروا لطمس العقيدة الإسلامية، ونسف مثل الأمة العربية، ليقوضوا الدولة الإسلامية، ويعيدوا الدولة الفارسية الثنوية، وكان الزنادقة مخادعين أذكياء، ودُهاة خبثاء، فتستروا بالإسلام، وأسروا الكفر، إخفاء لعقائدهم، وتغطية لأهدافهم، وتيسيراً لعملهم، وكان رؤساؤهم وأتباعهم من الموالي الفرس، وكان شعراؤهم أهم من جد منهم في إحياء تراثهم الديني ونشره، وأكبر من لجّ منهم في تخريب الإسلام وتهديمه وأشهر من نشط منهم في تشويه الخلق العربي وتحطيمه. واشتط في ذلك منهم الشعراء الموالي الكوفيين أكثر من البصريين، لأن الكوفة سبقت البصرة في الزندقة، وفاقتها في الإباحة. وكان مطيع بن إياس وحماد عجرد .. أخطر الزنادقة من أهل الكوفة، وكان بشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس أخطر الزنادقة الموالي من أهل البصرة. وكان بجانبهم مجانّ وفسقة وعصاة من الشعراء من أهل الكوفة مثل أبي دلامة وعلي بن الخليل، ووالبة بن الحباب، ومن أهل البصرة سلم الخاسر وأبان بن عبد الحميد، وأبي نواس .. وقد اتهموا جميعاً بالزندقة الدينية" .

## التعريف المختار لمعنى كلمة الزندقة :

بعد هذا العرض السابق لتطور معنى الزندقة نرى أن كلمة زنديق تعني من أبطن الكفر وأظهر الإسلام سواء أكان هذا الكفر المانوية أو الفرعونية أو الفينيقية أو البربرية أو النوبية أو العلمانية وغيرها من المذاهب أو النعرات أو القوميات المناهضة والمناقضة للإسلام. فالجامع لهؤلاء هو إبطانهم وإخلاصهم له.. ورغم ذلك فإنهم يتمسكون بكلمة الإسلام إما خشية انتقام الأمة منهم وإما خبثاً ليروجوا مذاهبهم وعقائدهم الباطلة تحت عباءة الإسلام.. وعلى أية حال فالزندقة الحديثة أشد خطراً على الإسلام وتعاليمه من الزندقة القديمة إذ كان للمسلمين دولة وخليفة وقضاة يحمون بيضة الإسلام ويخشى سطوتهم الزنادقة قديماً.. أما اليوم فلا يوجد للمسلمين دولة تذود عن عقيدتهم.. ووسائل الإعلام المسعورة تتسابق على نهش الإسلام ونشر غثاء الزنادقة الجدد.

## ثانياً: متى وكيف ظهرت الزندقة:

ذكر بعض المؤرخين والباحثين أن تاريخ محاكمة الزنادقة وتتبعهم منذ عهد الخلفاء العباسيين الأول؛ المهدي والهادي والرشيد وسار على نفس الدرب المأمون والمعتصم. وقد حدد المستشرق "فيدا" بداية محاكمة الزنادقة من سنة 163هـ إلى سنة 170هـ أي في السنوات الأخيرة من خلافة المهدي وإبان خلافة الهادي. "ففي سنة 163هـ بدأت حملة المهدي العنيفة على الزنادقة بأن أمر عبد الجبار المحتسب، والذي يلقبه صاحب الأغاني بلقب (صاحب الزنادقة) بالقبض على الزنادقة الموجودين داخل البلاد. فقبض على من استطاع القبض عليه وأتوا به إلى الخليفة الذي كان حينئذ في دابق، وأمر بقتل بعضهم وتمزيق كتبه. واستمر الخليفة في هذا الاضطهاد في السنوات التالية حتى بلغ الاضطهاد غايته في الفترة ما بين 166هـ وسنة 170هـ وكان يقوم على أمر هذا الاضطهاد قضاة مخصوصون، أشهرهم عبد الجبار الذي ذكرناه آنفاً، وعمر الكلوزي الذي عُين في سنة 167هـ، ثم محمد بن عيسى حمدويه الذي خلف عمر" هكذا حدد المستشرق "فيْدا" بداية ظهور الزندقة إلى العلن وذلك بإعلان الخليفة المهدي الجهاد على هؤلاء الزنادقة وكان الإعلان الرسمي للدولة في سنة 163هـ. أقول: لكن لنا تحفظات على ما ورد من استخدام بعض الألفاظ في عبارة المستشرق فيدا: مثل قوله (بدأت حملة المهدي العنيفة).. وكذا تكرار كلمة (اضطهاد) التي توحي بمعاناة الزنادقة وكأنهم تعرضوا لحملة جور وظلم من قبل دولة الخلافة!! وفيها أيضاً إيحاء بالعطف على هؤلاء الزنادقة.. وكنا نود أن يعترض الدكتور عبد الرحمن بدوي على هذه الألفاظ وخاصة أنه ترجم هذا المقال الذي كتبه فيدا إلى العربية.. فاضطهاد المهدي للزنادقة هو جهاد شرعي، وعنف المهدي مع الزنادقة من باب قوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة).. ويرى بعض المؤرخين أن ظهور الزندقة كان قبل الخليفة المهدي أي في أواخر الخلافة الأموية.. فابن النديم المتوفى 380هـ ذكر أسماء رؤساء المانوية قبل الخلافة العباسية: "كان الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان بن محمد، فيقال مروان الجعدي، كان مؤدباً له ولولده، فأدخله في الزندقة، وقتل الجعدَ هشامُ بن عبد الملك في خلافته، بعد أن طال حبسه في يد خالد بن عبدالله القسري، فيقال إن آل الجعد، رفعوا قصة إلى هشام يشكون ضعفهم، وطول حبس الجعد، فقال هشام: أهو حي؟ وكتب إلى خالد في قتله، فقتله يوم أضحى وجعله بدلاً من الأضحية بعد أن قال ذلك على المنبر بأمر هشام" الشاهد من قول ابن النديم أن الزندقة كانت أيام الأمويين أيضاً وإن كنا لا نتفق معه في رميه الخليفة الأموي مروان بن محمد بالزندقة لعدم وجود وثائق تاريخية تشير إلى زندقة هذا الخليفة.. ومثل هذه التهم يجب الحذر منها لأنها تهم يشنها الخصوم للتشنيع بالآخرين بغية بناء حواجز نفسية لدى الغير بمجرد سماع مثل هذه التهم!!

## السبب في عدم ظهور الزندقة إلى العلن في عهد الأمويين :

لم تظهر الزندقة في المجتمع الإسلامي في القرن الأول الهجري، لأن الخلافة الأموية كانت في أوج عزتها وعنفوان قوتها، وكانت واقفة بالمرصاد لكل أصحاب الملل المناقضة للروح الإسلامية، لذلك فإن نشأة الزنادقة كانت في القرن الثاني الهجري، وكان عددهم محدوداً ونشاطهم في غاية السرية. بالإضافة إلى أن قيام الدولة العباسية كان بسواعد الموالي الفرس الذين قاتلوا مع العباسيين ضد الأمويين وكانوا سبب في القضاء على الدولة الأموية.. ومن ثم اعتمد عليهم الخلفاء العباسيون ووثقوا بهم وكافأوهم واستوزروهم واتخذوا منهم بطانة وقادة لجيوش المسلمين.. إلا أن فئة من مفكريهم لم يلامس الإسلام شغاف قلوبهم وكانوا يحنقون على المسلمين بسبب ضياع ملك الأكاسرة على أيدي المسلمين فأسلموا ظاهراً وأبطنوا

الكفر بغية تـدمير دولة الخلافة من خلال نشر تعـاليم ديانة الفـرس القديمة مع نشرالشبهات حول القرآن وفضل العرب ونشرالفسـاد والعبث والمجـون وإشاعة الإنحلال في المجتمع الإسلامي المتماسك بالعقيدة الإسلامية.. هكذا كان الزنادقة في كمون أيام الأمـويين ثم ظهـروا إلى العلن أيـام العباسـيين واشتد أوار الزندقة في القرن الثالث الهجري وظهر في منتصف هذا القـرن ابن الريوندي وأبو عيسى الوراق والرازي وغيرهم!! وكان صعود نجمهم في القرن الرابع الهجـري لـذلك لا عجب أن يؤلف المستشـرق (آدم مـتز) كتابه الشهير (الحضـارة الإسـلامية في القـرن الرابع الهجـري) وهو كتـاب ترجمه للعربية الـدكتور محمد عبد الهـادي أبو ريـده وطبعه دار الكتـاب العـربي ببيروت والكتاب مطبوع في مجلدين..

ولعلنا نتساءل: لماذا اختـار آدم مـتز القـرن الرابع الهجـري ليكـون هو عصر النهضة في الإسـلام؟! السـبب أن الدولة الإسـلامية كـانت في هـذا القـرن والذي قبله قد دب فيها الضعف والتشرذم وظهور دويلات مسـتقلة وانتشـار المذاهب الهدامة كالقرامطة الذين نشر الذعر والقتل في العـالم الإسـلامي واستباحوا قوافل الحجاج واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة المشـرفة الـذي ردوه سـنة 339هـ .. هل هـذه قمة الحضـارة الإسـلامية الـتي يقصـدها آدم متز؟! وفي هذا القرن ظهرت أفكار الإلحاد على نطاق واسع وظهر الزنادقة الكبـار كـالحلاج ت 309هـ، والشـلمغاني المعـروف بـابن أبي العزاقر ت 322هـ الـذي كـان يقـول إن الله يحل في كل شئ.. وأن اللاهوتية اجتمعت في علي رضي الله عنه!! وقد كان الشلمغاني وعصابته الحلولية: "يغتفرون ترك الصلاة والصيام والإغتسال؛ وكانوا لا يتناكحون على السـنة، بل يـبيحون الفروج، ولا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمته، وكـانوا يـرون أنه لا بد للفاضل منهم أن ينكح المفضـول ليـولج النـور فيـه" وإلى غـير ذلك من لـواط كما يفعل عبـدة الشـيطان في زماننا وكما يقـول زنادقة الأدب من كفريات في عصرنا الحالي!! وإذا كان القرن الرابع الهجـري حسب مقيـاس متز هو قمة الحضارة الإسلامية فماذا عسانا أن نسمي القرن الثاني الهجري وهو عصر المهدي والرشيد والمأمون والمعتصم وينتهي بالمتوكل!! إذن هذه تقاسـيم تاريخية جـائرة وغـير موضـوعية بل نشـتم من تقـويم هـذه الحقب رائحة الخبث والتشـويه!! وعلى أية حـال فـرغم تتبع الخلفـاء العباسـيين للزنادقة ومحاكمتهم بموجب الشرع ومناظرتهم أمام كبار العلمـاء والقضـاة حتى لا تكون لهم حجة. رغم كل ذلك استمر الزنادقة جيلاً تلو جيل يعيشـون في ظلام التـاريخ، ويشـتد عـودهم كلما ضـعفت دولة الإسـلام! وأود أن أنبه على قضـية هامة ألا وهي قد يظن ظـان أن ظهورالزندقة والشـعوبية في القرن الثاني الهجري وتتبع الخلفاء العباسيين لهم ومحاكمتهم معنى ذلك أن المجتمع الإسلامي كان يغلبه الزندقة والشعوبية وأنه كـان مجتمعـاً ملحـداً منحرفاً يغلب عليه العبث والمجـون والإنحلال الإخلاقي.. بـالطبع هـذا تصـور بعيد عن الواقع والحقائق االتاريخية، فالمجتمع الإسـلامي في القـرن الثـاني الهجري كان قريب من زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تـزل روح الإسلامي هي المرفرفة في سـمائه وقد كـان هنـاك الفقهـاء وأهل الحـديث والزهـاد والعبـاد والجيـوش المرابطة والجيـوش الـتي تخـرج إلى الغـزو في رحلتي الشتاء والصيف، وكانت هناك الفتوحات ودخـول النـاس في دين الله أفواجـاً. لـذلك من الخطأ أن يتبـادر إلى الـذهن أن المجتمع الإسـلامي في القرن الثاني الهجـري كـانت تشـيع فيه روح الفسـاد والإنحـراف .. فالزندقة والشعوبية كـانت في فئة خاصة من أبنـاء العجم الـذين كـانوا في تـآمر دائم على دول الإسلام.. وأما الإنحـراف والمجـون فقد كـان مقصـوراً على طبقة مترفة، وكانت هذه الطبقة منبوذة لدى عامة الناس.

## ثالثـــا: الزنادقة الأوائل مع مختـــارات من كتاباتهم وأشعارهم :

ذكر ابن النـديم أسـماء رؤسـاء الزنادقـة: "ومن رؤسـائهم المتكلمين الـذين يظهرون الإسـلام ويبطنـون الزندقـة: ابن طـالوت، أبو شـاكر، ابن أخي أبي شـاكر، ابن الأعـدى الحريـزي، ونعمـان بن أبي العوجـاء، صـالح بن عبد القـدوس، ولهـؤلاء كتب مصـنفة في نصـرة الاثـنين (النـور والظلمـة) ومن مـذاهب أهلها وقد نقضـوا كتبـاً كثـيرة صـنفها المتكلمـون في ذلـك. ومن الشعراء: بشار بن برد، إسحاق بن خلف، ابن نباتـة، سـلم الخاسـر، على بن الخليل، على بن ثـابت، ومن تشـهر أخـيراً أبو عيسى الـوراق، وأبو الناشـي، والجيهان بن محمد بن أحمد" وذكر ابن النديم أيضاً من كان يُـرمى بالزندقة من الملـوك والرؤسـاء: "قيل إن البرامكة بأسـرها، إلا محمد بن خالد بن برمك، كانت زنادقة، وقيل في الفضل وأخيه الحسن مثل ذلك، وكـان محمد بن عبيد الله كـاتب المهـدي زنـديقاً واعـترف بـذلك فقتله الخليفة المهـدي" أقـول: هكـذا اسـتبان لنا خطر الزندقة لدرجة أنهم تغلغلـوا في جهـاز دولة الخلافة وصارت لهم مناصب كبـيرة من رؤسـاء وشـعراء!! ومن ثم لا عجب أن يوصي الخليفة العباسي المهـدي (ت169هــ) ولـده موسى الهـادي (ت 170هـ) بتتبع الزنادقة وجهـادهم وكشـفهم والفتك بهم.. حيث يقـول الخليفة المهدي في وصيته:

## وصية الخليفة المهدي :

"يا بني إذا صار الأمر إليك فتجرد لهذه العصـابة، يعـني أصـحاب مـاني، فإنها تدعوا الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش، والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، ثم تخرجها من هذا إلى تحريم اللحوم، ومسّ المـاء الطهـور، وتـرك قتل الهوام تحرجاً، ثم تخرجها إلى عبادة: اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات، والاغتسال بـالبول، وسـرقة الأطفـال من الطرق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فارفع فيها الخشب، وجرّد السيف فيها، وتقرّب بأمرها إلى الله. فإني رأيت جـدي العبـاس رضي الله عنه في المنـام قد قلـدني سـيفين لقتل أصـحاب الاثـنين" بعد هـذا التطـواف نتكلم عن أهم رمـوز الزنادقة قـديماً نختـار منهم: صـالح بن عبد القدوس/ وبشار بن برد أما ابن الريوندي فيحتاج إلى بحث خاص.

## أولاً : صالح بن عبد القدوس :

هو صـالح بن عبد القـدوس بن عبد الله بن عبد القـدوس من أهل البصـرة، كان يجلس للوعظ ويقص الأخبـار. غـير أنه كـان يـزين الثنوية (دين الفـرس القديم)، فلما اشتهر أمره استقدمه الخليفة المهدي، لكنه هـرب إلى دمشق واستخفى بها زمنـاً فلما عـرف المهـدي مكانـه، وجه إليه قريشـاً الحنظلي فقبض عليه وجاء له إلى بغداد. فحاكمه المهدي ثم قتله سنة 167هـ. ويجمع الإخباريون أن صـالح بن عبد القـدوس كـان من كبـار الزنادقة وأنه كـان من الثنوية من أتبـاع مـاني.. وقد ذكـره ابن النـديم في معـرض ذكـره عن كبـار الزنادقــة: " ومن رؤســائهم المتكلمين الــذين يظهــرون الإســلام ويبطنــون الزندقــة: ابن طــالوت (..) وصــالح بن عبد القــدوس" وذكــره الخطيب في تاريخــه: " صــالح بن عبد القــدوس أبو الفضل البصــري مــولى لاسد أحد الشعراء اتهمه المهدى أمير المؤمنين بالزندقة فأمر بحمله اليه واحضره بين يديه فلما خاطبه اعجب بغــزارة ادبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكـــثرة حكمته فامر بتخلية سبيله فلما ولى رده وقال له:

ألست القائل والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد الى جهله كذى الضنى عاد الى نكثه

قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر.. ويقال إن المهدى أبلغ عنه أبيات يعرض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم فاحضره المهدى وقال له أنت القائل هذه الأبيات قال لا والله يا أمير المؤمنين والله ما أشركت بالله طرفة عين فاتق الله ولا تسفك دمى على الشبهة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ادرءوا الحدود بالشبهات وجعل يتلو عليه القرآن حتى رق له وأمر بتخليته فلما ولى قال أنشدني قصيدتك السينية فأنشده حتى بلغ البيت أوله والشيخ لا يترك أخلاقه فأمر به حينئذ فقتل ويقال إنه كان مشهورا بالزندقة وله مع أبي الهذيل العلاف مناظرات" قال عنه الذهبي في ميزان الإعتدال: (صاحب الفلسفة والزندقة).. وذكر ابن المعتز سبباً لا عتقاله وهو أنه طعن على الرسول صلى الله عليه وسلم ورجح أن الخليفة هارون الرشيد هو الذي قبض عليه وتولى محاكمته، وأمر بقتله، وإن كان معظم المؤرخين يرون أن المهدي هو الذي قتله .. وعلى أية حال هم متفقون جميعاً على زندقة صالح بن عبد القدوس وأنه ألف كتباً في نصرة المانوية وتصدى للمتكلمين الذين كانوا يدافعون عن الإسلام.. المهم أن ابن المعتز تفرد بهذه الرواية التي تثبت زندقة ابن عبد القدوس حيث يقول: "حدثت من غير هذا الوجه بما هو عندي أثبت من الأول، وذلك ما رويناه أنه أنهي إلى الرشيد عنه هذه الأبيات، يعرض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم:

غصب المسكينَ زوجتَهُ فجرتْ عيناهُ من دُرَرِهْ
ما قضى المسكينُ من وطرِ لا ولا المعشارَ من وطرهْ
عذتُ بالله اللطيف بنا أن يكونَ الجوْرُ من قَدَرِه

## خلاصة القول في صالح بن عبد القدوس :

أنه كان زنديقاً زندقة دينية لا زندقة اجتماعية.. فلم تكن زندقته على سبيل اللهو والعبث والمجون، بل كان يعتقد تعاليم ماني الفارسية القديمة اعتقاداً صادقاً، وكان يومن بالإثنية والإمتزاج بين إله النور وإله الظلمة، وكان يتمسك بنحلته وبمعتقده تمسكاً قوياً، ويدافع عنه دفاعاً مستميتاً.

## ثانياً: بشار بن برد (ت167هـ) :

"أصل بشار بن برد من طخارستان في أقصى خراسان وقع جده يرجوخ في سبي المهلب بن أبي صفرة حينما كان والياً على خراسان (78 إلى 82هـ) فأهداه إلى امرأته خيرة بنت ضمرة القشيرية، وكانت تقيم بضيعة لها بالبصرة. ولما وصل يرجوخ إلى البصرة كان معه طفل صغير اسمه بُرد. ولما بلغ برد مبلغ الرجال زوجته مولاته خيرة فتاة من بني عقيل، فولد له بشار سنة 91هـ في الأغلب. ولد بشار أكمه (لا يبصر) ونشأ على الفقر وكان شريراً. ثم بدأ قول الشعر وهو لا يزال حدثاً وأخذ يهجو الناس. ويتم بشارٌ عن أبيه وهو بعد صغير. ثم قضى بشار معظم حياته في البصرة وتلقى فيها ضروباً من العلم تسرب إليه معها كثير من الزندقة .. فاتهم بالزندقة وبأن غزله فاحش يدعو إلى الفسق ثم قتل في البصرة نحو 167هـ. كان بشار شعوبياً زنديقاً" .

زنادقة الأدب والفكر
هاني السباعي

أقول: هذا هو بشار بن برد القائل:

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدم فتبينوا يا معشر الفجار
النارُ عنصره وآدم طينة والطين لا يسمو سمو النارِ
الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ

بكل تبجح يقـدم بشـار إبليس على آدم عليه السـلام لأن إبليس مخلـوق من نـار، ويـرجح رأي إبليس في امتناعه من السـجود لآدم عليه السـلام!! لـذلك لما سـمع واصل بن عطـاء المعـتزلي شـعر بشـار السـابق قـال: "أما لهـذا الملحد الأعمى المشـنف المتكـنى بـأبي معـاذ مَنْ يقتلـه؟ أما والله لـولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية (أي المانويـة) لبعثت إليه مَنْ يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف منزله" يقـول عنه عبد القـاهر البغـدادي: "وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنه ضمّ إلى ضلالته في تكفـير الصـحابة وتكفـير عليّ معهم ضلالتين أخريين إحداهما قوله برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة كما ذهب إليه أصـحاب الرجعة من الرافضـة. والثانية قوله بتصـويب إبليس في تفضـيل النـار على الأرض" قـال عنه الـذهبي: "اتهم بالزندقة فضربه المهدي سبعين سوطاً ليقر فمات منها وقيل كان يفضل النار وينتصر لإبليس.. هلك سنة سبع وستين (ومائة) وبلغ التسعين" أقول: هـذا هو بشـار بن برد الـذي يهيم به العلمـانيون!! لقد كـان بشـار بن بـرد مسـتخفاً بالـدين مضيعاً للفروض، إذ كـان يـدعي الخـروج إلى الحج، لينفي تهمة الزندقة عن نفسه، ثم يعود على الحانات، فيقضي وقت الحج بين القيـان والخمـر، حـتى إذا قربت عودة الحجيج حلق رأسه واندس بين القافلين المـارين بـه، لكي لا يشك الناس في أمره. كما كان يبيح لنفسه ترك الصلاة مع الجماعة، مـدعياً أنه لا يبصر ولا يتقن أداءها، إذ يقول:

وإنني في الصلاة أحضرها ضحكة أهل الصلاة إن شهدوا
أقعدُ في الصلاة إذا ركعوا وارفع الرأس إن هم سجدوا
ولستُ أدري إذا إمامهم سلم كم كان ذلك العددُ

ويبدو أنه لك يكن صادقاً في دفاعه عن نفسه واقناعه للناس بعدم التعـرض له لتخلفه عن صـلاة الجماعـة، فإنه كـان لا يصـلى في بيتـه، إذ يقـول بعض أصحابه: (كنا نكون عنده، فإذا حضـرت الصـلاة قمنا إليهـا، وجعلنا على ثيابه تراباً حتى ننظر هل يقوم يصلي، فكنا نعود والتراب بحاله وما صلى" هذا هو بشار بن برد الذي يسبح بشعره العلمانيون وأهل الحداثة!! لـذلك لا غـرو أن يدافع عنه الزنادقة الجدد كأدونيس في كتابه الثـابت والمتحـول.. لا غـرو أن يدافع عنه بشار وحماد عجرد وأبي نواس وغيرهم من أهل الزندقة والمجون والخلاعـة. لا غـرو أن تحصل جيهـان صـفوت زوجة الـرئيس الهالك أنـور السادات على درجة العالمية من جامعة القاهرة بتقـدير امتيـاز في رسـالتها عن بشار بن بـرد شـيخ الحداثـة، ذلك المعـذب صـاحب الفكر المسـتنير ضد السـلطة الرجعيـة!! لاغـرو أن يتغـنى الزنادقة الجـدد بشـعر شـيخ الحداثة والخلاعة بشار بن برد الذي وضع اللبنات الأولى للزندقة وتسهيلها لدى عوام النـاس عن طريق عذوبة شـعره وتفننه في توليد المعـاني. بشـار بن بـرد شاعر الخلاعة والتحريض على الفسوق هو القائل:

قد لا مني في خليلتي عُمَرُ واللومُ في غير كنهه ضجرُ
قال أفق قلتُ: لا. قال: بلى قد شاع في الناس منكما الخبرُ

ثم يتمادى في وصفه للقبلة واللمسة ودغدغة المشاعر:

زنادقة الأدب والفكر
هاني السباعي

| | |
|---|---|
| حسبي وحسبُ الذي كلفتُ به | مني ومنه الحديث والنظرُ |
| أو قبلة في خلال ذاك وما | بأسٌ إذا لم تُحَلَّ لي الأزرُ |
| أو عضةٌ في ذراعها ولها | فوق ذراعي من عضّها أثرُ |
| أو لمسةٌ دون مرطها بيدي | والبابُ قد حال دونه الستر |
| والساقُ براقةٌ مخلخلها | أو مصُّ ريقٍ وقد علا البَهرُ |
| واسترخت الكفُّ للعراكِ وقا | لت إيه عنيً والدمعُ منحدرُ |
| انهضْ فما أنت كالذي زعموا | أنت وربي مغازلٌ أشرُ |
| يا ربَّ خذ لي فقد ترى ضرعي | ن فاسق ما به سَكَرُ |

فعلى هذا المنوال نسج بشار قصائده التي تحض على الفحش والرذيلة ورغم تلونه وتفلته كثيراً من عقوبة الزندقة إلا أنه شهد عليه شهود عدول أمام قضاة يحكمون بما أنزل الله وفي حضور خليفة المسلمين المهدي فأمر بضربه سبعين سوطاً حتى هلك. ولكن بقي شعره المفعم بالزندقة يتوارثه خفافيش الزندقة بغية تحقيق مآربهم الخبيثة.. أقول: أود أن أشير إلى أن هناك أديباً وناقداً كبيراً قد حلل شعر بشار بن برد بطريقة علمية رائعة ألا وهو الدكتور نجيب محمد البهبيتي أستاذ الأدب العربي بالقاهرة في كتابه الماتع (تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري) وهو كتاب عظيم الفائدة طبعته مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الكتاب العربي بلبنان.. ويعتبر الدكتور البهبيتي من أفضل من سبر غور الشعر العربي القديم وخاصة شعر بشار بن برد بل إنه غاص في تحليل الصورة الشعرية لدى بشار وتحليل أوصافه وتراكيب أبياته وقارنها بصور شعراء سابقين بل إنه حطم أسطورة بشار بن برد الشعرية بالدليل.. تلكم الصورة التي يتغنى بها الحدثيون ومن على شاكلتهم، أتمنى أن ينشر هذا الكتاب على نطاق واسع لكي تعم الفائدة ويميز القراء الخبيث من الطيب.. صفوة القول في بشار بن برد: شاعر شعوبي حاقد كاره للعرب كرهاً شديداً، يفتخر بالفرس وبحضارتهم ويعتد بهم اعتداداً شديداً.. كان يقدس النار.. هو من كبار الزنادقة كانت زندقته دينية وإن جمع في نفس الوقت زندقة اجتماعية كما في هو ثابت في شعره من فسقه وفجوره، وإلحاده وكفره .. كان مستخفاً بالدين مضيعاً للفروض.. وقد كان بصيراً بالديانة الفارسية القديمة لدرجة أن صديقه في المجون حماد عجرد قال عنه: (إنه أعلم بالزندقة من ماني) .. وقد زجره الخليفة المهدي عدة مرات لما بلغه عنه من شعر ماجن وما نسب إليه من زندقة.. ولكنه كان ينفي حتى شهد رجال عدول أمام الخليفة أنه زنديق فأمر بمحاكمته ومن ثم أمر بضربه سبعين سوطاً حتى مات ورغم كل هذه الحقائق لم يزل الزنادقة الجدد يسبحون بشعره.. ولله في خلقه شؤون!!

## رابعاً: الزنادقة الجدد مع مختارات من كتاباتهم :

لقد ابتلي هذا العصر بوجود مجموعة من الزنادقة الذين خرجوا من رحم المنظومات المعادية للإسلام وللأسف الشديد فإنهم منتشرون في كثير من المناحي الحياتية ولهم صوت مسموع في وسائل الإعلام والأخطر من ذلك كله أنهم يعملون في مجال تشكيل العقول وغسيل أمخاخ أجيال كاملة من المسلمين عبر مناصبهم في مجال التربية والتعليم على كافة مستوياته.. من أمثال طه حسين الملقب بعميد الأدب العربي ظلماً وزوراً.. ونجيب محفوظ صاحب رواية أولاد حارتنا التي نال بسبب جائزة نوبل المشبوهة!! ومحمد أركون المولود عام 1928 في منطقة القبائل بالجزائر.. وعزيز العظمة وهو سوري لا يؤمن بأي دين.. ومحمد بنيس من مدينة فاس ولد عام 1948.. وبلند الحيدري ولد في بغداد عام 1926م وهو ملحد زنديق.. أدونيس: واسمه الحقيقي على أحمد سعيد أسبر ولد بقرية قصابين بسوريا

عام 1930م. اختار لنفسه اسم أدونيس وهي رمز لإله الخصب عند اليونان قديماً .. ومعتقده القديم مذهب النصيرية ثم صار شيوعياً ثم تأمرك وصار لا دينيا ومن كبار الزنادقة.. أسس مجلة مواقف عام 1968م ..

ونختار ثلاثة من الزنادقة الجدد لنسلط الضوء على ما تفوح به أقلامهم من زندقة:

## (1) حسن حنفي :

بطاقة تعريف: ولد حسن حنفي في القاهرة عام 1935م حصل على ليسانس الفلسفة عام 1956 ثم شق تعليمه الجامعي إلى أن حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام 1966.. عين أستاذاً لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة.. شغل منصب السكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية.. يقدم نفسه على أنه صاحب مشروع اليسار الإسلامي.. يؤمن بدين إسلامي على الطريقة الماركسية يتلاعب بالألفاظ .. وخلاصة أفكار اليسار الإسلامي: فخلاصة فكر هذه المدرسة (اليسار الإسلامي). أنها امتداد للفكر الإعتزالي ومايسمى بالمدرسة الإصلاحية بزعامة الأفغاني ومحمد عبده ومن رجال هذا التيار اليسار الإسلامي فتحي عثمان ومحمد عابد الجابري وغيرهم ويركز هذا التيار على الثورة وابني الإشتراكية والعدل الإجتماعي وتجديد التراث وغير ذلك. ويعتبر حسن حنفي أن اليسار الإسلامي هو النقد الذاتي للحركة الإسلامية وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، كما أنه يجب إحياء الجوانب الثورية في الدين وتأويل كل حدث على أنه ثورة. هذه خلاصة أفكار اليسار الإسلامي تلك المدرسة التي يريد أن يفرضها علينا حسن حنفي ومن على شاكلته للأخذ بأيدي المسلمين للفوز بالسعادة الماركسية الحمراء وللمزيد من الإيضاح سنلقي الضوء بعون الله تعالى على أهم ركائز فكر حسن حنفي التدميري وذلك من خلال قراءة في كتابه (التراث والتجديد).. وقد اخترت هذا الكتاب بصفة خاصة عن سائر كتبه لأنه أوضح عبارة وأخطر طرحاً في إفصاحه المباشر عن اطروحته اليسارية ولا تحتاج عباراته إلى تأويل أو غموض قد يحتاج إلى تفسير جلي.. ولكي لا يتهمنا أحد بالتحامل على الدكتور حسن حنفي بزعم أننا نفسر أقواله بما لا تحتمل.. لذلك رشحت هذا الكتاب الذي لم يتب مؤلفه حسن حنفي ولم يعلن ذلك على الملأ بل إنه يعتز به وينادي بكل مافيه.. هذا الكتاب يحتوي على أبرز القضايا التي يدعو لها الدكتور حسن حنفي ويدندن حولها في كتبه ومقالاته وخاصة مؤلفه الضخم: (من العقيدة إلى الثورة محاولة لإعادة أصول الدين).. وكتابه: (الدين والثورة في مصر).. وكتابه: (مقدمة في علم الإستغراب).. وللكاتب مقالات أخرى في فلسفة اليسار الإسلامي غالبها يدور حول نفس الأفكار التي سنطرحها من خلال كتابه التراث والتجديد في هذه المقالة وأهم هذه الأفكار الهدامة هي:

**أولاً: العلمانية أساس الوحي :**

وحول هذا العنوان يتساءل حسن حنفي ويفتري على الله الكذب ويقول: "فإن قيل إن التراث والتجديد سيؤدي حتماً إلى حركة علمانية وفي العلمانية قضاء على تراثنا القديم وموروثاتنا الروحية وآثارنا الدينية، قيل قد قد نشأت العلمانية في الغرب إستجابة لدعوة طبيعية تقوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسمين واستغلال المؤسسات الدينية للجماهير وتوطينها مع السلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة نشأت العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية إذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي

علماني في جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور، وما شأننا بالكهنوت والعلمانية ماهي إلا رفض لـه؟ العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى" ونلاحظ في الفقرة السابقة بياناً صريحاً لدعوة حسن حنفي الإلحادية.. فالصور الخارجية المرفوضة هي: علم الغيب/الجنة/النار/الملائكة.. فالوحي أي القرآن أو الدين بصفة عامة اغتصب حق الإنسان في السلوك والحرية حسب زعم حسن حنفي وأن العلمانية استردت هذا الحق المغصوب وأعادته للإنسان!! فالعلمانية تؤدي إلى الصدق!! أما الدين والوحي والقرآن فيؤدي كل منهما إلى النفاق والكذب!! العلمانية ترفض أي أشكال الوصاية على الإنسان والوصاية المقصودة هنا هي نصوص القرآن والدين بصفة عامة فالقرآن يضيق على تعبير وحرية الإنسان كما أن هذه العلمانية ترفض أي سلطة- أي النص القرآني- أما العقل فهو وحده رب العلمانية وإلاهها.. ويخلص حنفي إلى أن العلمانية جوهر والدونية طارئة عليه فالدين من صنع التاريخ!! بمعنى أوضح فالقرآن والدين الإسلامي نتاج بشري من صنع التاريخ ووليد ظروف اجتماعية متخلفة لأن الدين لايظهر إلا في مجتمعات متخلفة توقفت عن التطور والعلمانية ترفض هذا الكهنوت – أي الدين- ثم بعد ذلك يقرر هذه الحتمية التاريخية التي لايعرفها إلا حسن حنفي ومن على شاكلته: (العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى)!! فأي دونية يقصد حسن حنفي؟!! أعتقد أنه يقصد أن العلمانية هي الدين لأنها أساس الوحي حسب زعمه!!

**ثانياً: لفظ الجلالة (الله) وألفاظ (الرسول.. الدين الجنة.. النار..إلخ) لم تعد عند حسن حنفي قادرة على التعبير عن مضامينها:**

لم تسلم شعائر الدين الإسلامي من طعنه، ولم يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حتى ذات الله واسمه الأعظم من افتراءات أستاذ الفلسفة حيث يقول: "إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم مازالت تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التي نشأت بها هذه العلوم والتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتي تمنع أيضاً إعادة فهمها وتطويرها، يسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الدين، الجنة، النار، الثواب، العقاب (..) هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر نظراً لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منها، ومهما أعطيناها معاني جديدة فإنها لن تؤدي غرضها لسيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الإصطلاحي الجديد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال" أقول: أنظر إلى هذا الإفتراء وإلى هذه الجرأة الوقحة مع رب العزة سبحانه وتعالى، فلفظ الجلالة ما هو إلا لفظ قاصر ليس له واقع ولا يعبر عن شئ والرسول والجنة والنار ماهي إلا ألفاظ جوفاء قاصرة لا تعبر عن واقع ولا عن شئ بل يدعو حسن حنفي إلى التخلص منها أي رفض الدين جملة وتفصيلاً!! فالأمر إذن دعوة للإلحاد بالمعنى الفصيح.

**ثالثاً: لفظ الجلالة (الله) يحتوي على تناقض حسب افتراءات حسن حنفي:**

فحاشا لله أن يحتوي اسمه الأعظم على تناقض.. يشرح حنفي أسباب قصور اللغة القديمة أي النص القرآني فيقول: "إنها لغة إلهية تدور الألفاظ فيها حول "الله" ولو أنه يأخذ دلالات متعددة حسب كل علم، فهو "الشارع" في علم أصول الفقه.. وهو "الحكيم" في علم أصول الدين، وهو "الواحد" في التصوف، لفظ "الله" يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفظ إن كان له معنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من استعماله،

بل إن لفظ "الله" يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود" ويزيد حسن حنفي شرحه للفظ الجلالة: "يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معين أي أنه صرخة وجودية، أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة أو بصور في العقل، وهو رد فعل على حالة نفسية أو عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصال لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس الشعبي هو الله، وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضاً في الشعور الجماهيري هو الله، وكلما حصلنا على تجربة جمالية قلنا: الله! الله! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضاً بالله" وماذا بعد كل هذه الإفتراءات حول لفظ الجلالة؟! يخلص حنفي إلى الآتي: "فالله لفظ نعبر به عن صرخات الألم وصيحات الفرح أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خبرياً، وما زالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله" انظر إلى قوله (فما زالت الإنسانية كلها).. فلماذا كلها وليس بعضها؟! فهل هذا خطاب علمي موضوعي لرجل يزعم أنه أفنى عمره في البحث والتنقيب، فكأنه يخوفنا بتعميماته – الإنسانية كلها- لكن المسلمين وحتى أصحاب الديانات الأخرى ضد هذه الأطروحة الإلحادية.. أليس المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى من الإنسانية؟!.. بالطبع هذا هراء علمي! وهذه طريقة الخطاب الماركسي في التعتيم والحتمية لإرهاب القارئ بأن ما يكتب مسلمة تاريخية!! وفي تطاوله المستمر على لفظ الجلالة يقول حنفي: (فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وهند المظلوم هو العدل، وعند المحروم عاطفياً هو الحب، وعند المكبوت هو الإشباع، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضطهدين، والله في مجتمع يخرج من الخرافة هو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقدم، فإذا كان الله هو أعز مالينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل، وإذا كان الله هو ما يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز، والرزق، والقوت، والإدارة، والحرية، وإذا كان الله ما نلجأ إليه حين الضرر، وما نستعيذ به من الشرر فهو القوة والعتاد، والإستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها علي، ويمكن التعرف على تاريخ احتياجات البشر بتتبع معاني لفظ "الله" على مختلف العصور (..) ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولا هوت الثورة، ولا هوت التنمية، ولا هوت النظام، ولا هوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافات المعاصرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها" أقول: هكذا يفتري هذا الرجل على الله تخرصاً (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً).. يفتري على اسم الله الأعظم.. تعالى الله عما يقول حنفي علواً كبيراً.. أهذا ما يريد اليسار الإسلامي لديننا!! أهكذا يكتب رجل عن رب العزة سبحانه وتعالى.. بكل هذه الوقاحة!! خبرونا إن لم يكن ما كتبه حسن حنفي في الفقرة السابقة إلحاداً وإنكاراً لوجود الله؟!! فماذا يكون إذن؟!! أهكذا يصل الخطاب تحت مظلة البحث العلمي بحق الله تعالى! في منتهى السخف والإستهزاء بجناب رب العزة.. فضلاً عن الإستهزاء بعقيدة أهل التوحيد.. (سبحانك هذا بهتان عظيم).. لو طلب من حسن حنفي أن يكتب بحثاً أو مقالة في فرعون من الفراعين ما اجترأ أن يتحدث بهذه الطريقة الإلحادية التي تدل على زندقة سافرة.. (الله هو الرغيف!! والحب والتنمية والأرض والحرية و الرزق والقوت!!).. والله لقد قال هذا الزنديق الذي يصر على أنه مسلم قولاً (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا).. ورغم هذا الكفر البواح يتبجح حسن حنفي عبر وسائل الإعلام مدعياً أنه مسلم يقدم مشروعاً حضارياً لينقذ به أمة الإسلام!!

**رابعاً: لا تقديس للقرآن والسنة:**

قد تناول حنفي في طعنه أعظم ما تعتز به هذه الأمة من شعائر دينها والعاصم لها من الضلال بعد الهدى ومصدر شريعتها إذ يقول: "نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعني هذان المصدران أي تقديس

لهما بل هو مجـرد وصف لواقـع" سادسـاً: الحجـاب كبت جنسـي: لم يـترك حسن حنفي أي شعيرة أو فضيلة في الإسلام إلا نقضها وطعن فيها وتطـاول وافترى على المشرع الحكيم الذي فرض الحجاب وأمر بـه!! فيقـول حنفي: "سـيادة التصـور الجنسي للعـالم، البداية بالحجـاب وعـدم الإختلاط، والأمر بغض البصر، وخفض الصوت، وكلما ازداد الحجاب ازدادت الرغبة في معرفة المسـتور، والـدعوة السياسـية الإجتماعية أرحب وأوسع عن هـذا التصـور الجنسي للعلاقـات الإجتماعيـة، ولمـاذا يصـنف المـواطن إلى رجل وامـرأة؟ ولماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنثى؟ إن تأكيد النظـرة الإنسـانية أو الإعلان عن الثورة السياسية من شأنه إحداث ثورة في السـلوك الفـردي دون ماحاجة إلى التصنيف الجنسي للمواطنين، خاصة وإن كان لا يـدل على فضـيلة بل يـدل على رغبة جنسـية مكبوتة أو حرمـان جنسي في حالة من التسامي والإعلاء" انظر إلى هذا الميزان المقلوب الذي يزن به حسن حنفي أسـباب فشل تغيـير الواقع بالقـديم أي عن طريق القـرآن!! فهنـاك تناسب طـــردي بين الحجـــاب والرذيلـــة!! فكلما ازداد الحجـــاب زادت الرذيلـــة!! فالحجاب في نظره رغبة جنسـية مكبوتـة!! والحجـاب سـبب تفشي الرذيلة والفوضى الجنسـية في العـالم!! ويتطـاول حسن حنفي على النص القـرآني (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثـيين).. ويتسـاءل حنفي لمـاذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنـثى؟!! ولمـاذا يصـنف المواطنـون إلى رجل وامــرأة؟!! صــفوة القــول في الــدكتور حسن حنفي: رغم تمســحه بالإسـلام ورغم مقالاته المتعـددة في العديد من المجلات والـدوريات الـتي تصـدر على مسـتوى العـالم الإسـلامي وخاصة مقالاته الدورية في جريـدة الزمان اللندنية الـتي يبطنها بالـدفاع عن الإسـلام في مواجهة الغـرب إلا أن كل ذلك لا يؤثر في أنه زنـديق من كبـار الزنادقة الجـدد في العصر الحـديث وصاحب مشروع تخريبي لهوية الإمة الإسلامية..

## (2) مالك شبل :

علماني جزائري من مواليد مدينة سكيدا عام 1953م حاصل ثلاث شـهادات دكتـــوراه من جامعـــات بـــاريس وهي: دكتـــوراه في علم النفس العيـــادي والتحليل النفسي عام 1980 ودكتوراه في علم الأنثربولوجيا عـام 1982 ثم دكوراه في العلوم السياسية عام 1984.. له عدة مؤلفات باللغة الفرنسية.. شـارك في نـدو مجلة مواقف عن الإسـلام والحداثة في مدينة لنـدن عـام 1989.. وها نحن أولاء نقدم أنموذجاً من زندقتـه: يقـول في بحث قدمه عن الذكورة والأنوثة: "ولنأخذ بعض الأمثلة النابعة من الحياة الجنسية: (الحجـاب مثلاً): اسـتعمل الحجـاب قـديماً في مصر إبـان عهد المماليـك، حيث كـان ارتـداؤه يشـكل دلالة اجتماعية ورمـزاً للمكانة العالية الـتي تحتلها المـرأة المحجبة في المجتمع آنـذاك. وبعد ذلك العهد اسـتعمل الحجـاب لأغـراض مختلفة تمامـاً، لعل أهمها هو حجب المـرأة عن عيـون الرجـال الآخـرين، خصوصاً أولئك الذين يحملون في نفوسهم أغراضاً جنسـية. لكن الثـابت أن الحجاب لا يجهض الرغبة الجنسية لدى الرجـل، بل على العكس من ذلك قد يزيـدها. وقد تكـون رغبة الرجل في المـرأة المحجبة أكـثر من رغبته في السافرة" أقول: قارن بين كلام هـذا الشـبل وبين كلام حسن حنفي السـابق (الحجاب كبت جنسي)!! تشابهت أقلامهم! (قد بـدت البغضـاء من أفـواههم وما تخفي صدورهم أكبر).. ويقول مالك شبل في ندوة مواقف أيضاً: "المثل الثـاني الـذي أضـربه لكم من الحيـاة الجنسـية هو الختـان: في رأيي أن أي حذف من جسد المـرأة أو الرجل يعـني أن الطبيعة قد فشـلت أمـام الثقافة السـائدة. وهو أمر يـوحي بـأن هنـاك صـراعاً قائمـاً حسب المفهـوم الأنثربولوجي الحديث بين الطبيعة والثقافـة. وقد شـرحت في كتـابي الأخـير لماذا كنت ضد ختان الذكور، خصوصـاً أن عملية الختـان عند العـرب تتم في معظم الأحيـان والطفل في حـدود السـنة الخامسة من عمـره. وهـذا العمل يشكل خطأ كبيراً في مفهوم علم النفس، لأن الطفل في هـذه المرحلة من

العمر يعاني من عقدة (الصراع مع الأب) (عقدة أوديب).. الحال عند اليهود أرحم بعض الشئ حيث يتم ختان الأطفال في اليوم السابع بعد الولادة"

أقول: واضح أن هذا الزنديق يستشهد بنظريات عفا عليها الزمان ونسفها علماء النفس أنفسهم وقضوا عليها قضاء مبرماً!! واضح أن مالك شبل مغرم بفرويد ومؤمن بنظرياته الفاشلة التي دحضها علماء الغرب قديماً وحديثاً ناهيك عن علماء الإسلام.. لكن الغريب أن هذا الزنديق لم يكلف نفسه لقراءة كتاب واحد عن أحكام المولود في الإسلام.. الذي يبين أن الأمة كانت ولا تزال تختن أولادها وخاصة الذكور في اليوم السابع لأنه لا توجد مدة محدد على سبيل الوجوب فقد يتم الختان في اليوم السابع وقد يكون بعد شهر أو سنة أو حتى بعد سنين كما ورد في اختتان نبي الله إبراهيم عليه السلام وقد ناهز الثمانين.. طبعاً لن أرد على كل مفردات الكفر والزندقة التي وردت في كلام هذا الشبل!! ولكن خلاصة القول فيه أنه زنديق محترق، ينطلق من مبدأ خالف تعرف!!

## (3) عادل ضاهر :

كاتب علماني ولد في النبطية بجنوب لبنان عام 1939م. أكمل تعليمه في الجامعة الأمريكية ببيروت ثم ثم في جامعتي فرانكفورت ونيويورك. حاز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة نيويورك عام 1967. شارك في تأسيس مجلة مواقف عام 1968م. عمل أستاذاً في الجامعة الأردنية ويرأس تحرير المجلة الفلسطينية العربية الصادرة عن الجمعية الفلسفية. أهم مؤلفاته: (الأخلاق والعقل) .. و(الإنسان والمجتمع) .. (الأسس الفلسفية للعلمانية) .. (أولية العقل ـ نقد أطروحات الإسلام السياسي). وقد ساء عادل ضاهر بعض العلمانيين العرب الذين لا يأخذون العلمانية بالمعنى الغربي ويسيرون على منهج التوفيق والتلفيق فنقدهم قائلاً: "والأخطر من هذا تدليلاً على تراجع الفكر العلماني عندنا ما نشهده من محاولات حثيثة من قبل المفكرين العلمانيين لدعم موقفهم عن طريق اللجوء إلى الإسلام نفسه- القرآن والسنة- غير مدركين أنهم إنما يقدمون بهذا أكبر التنازلات للحركة المناوئة للعلمانية وأنهم –وهذا هو الخطر- يناقضون أنفسهم أيما تناقض إذا يجعلون النص الديني مرجعهم الأخير في مجال دفاعهم عن علمانيتهم، بينما العلمانية تقوم في المقام الأول على مبدأ أسبقية العقل على النص".

أقول: عادل ضاهر زنديق من أم رأسه إلى أخمص قدميه، وحقيقة دعواه معاداة الإسلام، ولقد ركز عادل ضاهر في معظم كتاباته على الهجوم على (النص) أي القرآن الكريم بزعم أن النص؛ القطعي الثبوت، القطعي الدلالة يجب إعادة فهمه فهماً جديداً مخالفاً لكل الأفهام السابقة بما فيها فهم الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن باب أولى فهم علماء المسلمين على مدار ألف وأربعمائة عام، بل إنه ينادى وأصحاب هذه المدرسة مثل محمد شحرور، وحسين أحمد أمين، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد سعيد العشماوي وغيرهم ينادي هؤلاء جميعاً بوجوب فهم القرآن الكريم على ضوء معطيات العصر الثقافية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية.. كما نلاحظ أن المجال الخصب لدراسة هؤلاء الزنادقة الجدد هو القرآن الكريم بصفة خاصة.. فمثلاً نصر حامد أبو زيد تناول آيات صفات الله تعالى ليبث سمومه وشبهاته، ومحمد سعيد العشماوي ركز على آيات الحجاب والمرأة، وأحمد أمين ركز على آيات الحدود، بالإضافة إلى تناولهم بالتشكيك والتجريح مجال السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي طولاً وعرضاً.. وخلاصة اعتقاد هؤلاء العلمانيين اختراع دين جديد، عبارة عن نسخة لدين مزيف، لا علاقة له بدين الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من رب العالمين.

## صفوة القول :

لقد خـرجت الزندقة الجديـدة من رحم الزندقة القديمـة، فنفس الأهـداف والمنطلقات التي انطلق منها الزنادقة الأوائل كابن عبد القـدوس وبشـار بن برد وابن الريوندي وعيسى الوراق والشمغاني والحلاج والسهروردي.. كذلك سار على نفس الدرب الزنادقة الجدد من طه حسـين وحسن حنفي ومحمد أركون وجابر عصفور وشحرو وعادل ضاهر ومالك شبل وغـيرهم من زنادقة العصر الحديث.. وإن كان الزنادقة الأوائل كانوا ينشـرون كلامهم وأشـعارهم بطرق خفية ويحتاج السلطان إلى إعمال أدلة ثبوت جريمة الزندقة كـالإقرار من المنسوب إليه الشـعر أو الكتـاب أو شـهادة الشـهود وغـير ذلك من أدلة وقرائن ولذلك كانوا يفلتون كثيراً نظراً لدقة أدلة الثبوت ضد هـؤلاء الزنادقة قـديماً.. لكن الآن حـدث ولا حـرج فالزنادقة يرتعـون في أرض المسـلمين وينتهكون عـرض الإسـلام ولا رقيب عليهم لأنهم بكل بسـاطة هو الحـاكمون المتنفـذون! وهم علية القـوم! وسـدنة الدسـاتير والقـوانين الـتي تحمي مصـالحهم وأفكـارهم الهدامـة!! ولا أكـون مبالغـاً إن قلت: هـذا عصـرهم الـذهبي.. لم لا وشـريعة الإسـلام قد غـابت عن الحكم منذ أكـثر من قـرنين تقريباً.

خلاصة القـول في الزنادقة الأوئل وزنادقة العصـرالحديث.. أنهم تواصـوا جميعاً على هدم الإسلام وتدمير معتقدات المسـلمين والطعن في كل مـاهو معلوم من الدين بالضرورة.. لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة في عقيدة الإسـلام إلا اتخـذوها غرضـاً للطعن وإثـارة الشـبهات.. تـارة من طـرف خفي وتـارة كفاحـاً.. حـرب ضـروس على الإسـلام وأهله من قبل ثلة من العلمـانيين اللادينيين المتـآمرين الـذين انسـلخوا عن دينهم وعن هوية أمتهم ورغم ذلك وبكل تبجح يزعم هؤلاء الزنادقة أنهم مسـلمون ويفهمـون الإسـلام أكـثر من الصحابة الكرام بل ومن رسول الإسلام ذاته. تعـالى الله عما يقولـون علـواً كبيراً.